٢ ـ أزواج يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

هو «يزيد بن معاوية بن أبي سفيان؛ صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب» وأمه «ميسون بنت بَحْدَل» الكلبية.

أراد «معاوية بن أبي سفيان» أن يخلفه بعد وفاته ولده «يزيد بن معاوية»، بَيْدَ أن إرادته اصطدمت بمعارضة شديدة من أربعة نفر من قريش وهم: «الحسين بن علي» و«عبد الرحمٰن بن أبي بكر» و«عبد الله بن عمر» و«عبد الله بن الزبير» ﷺ.

وكان للمغيرة بن شعبة دور كبير في ترسيخ فكرة البيعة ليزيد في ذهن «معاوية»، ذلك أن «المغيرة» كان عامل «معاوية» على الكوفة، فكتب إليه «معاوية»: إذا قرأت كتابي فأقبِلْ معزولاً، فأبطأ عليه، فلما جاءه، قال: ما الذي أخَّرك؟ قال: أمر كنت أوطئة وأهيئه، قال: وما هو؟ قال: البيعة ليزيد من بعدك! قال: أوَ قد فعلت؟ قال: نعم، قال: ارجع إلى عملك، فلما خرج قال له أصحابه: ما وراءك؟ قال: وضعت رجل «معاوية» في غَرْزِ غَيٍّ لا يزال فيه إلى يوم القيامة.

قال الحسن البصري ـ عليه الرحمة والرضوان ـ أفسد أمر الناس اثنان «عمرو بن العاص» يوم أشار على «معاوية» برفع المصاحف فحملت، ونال من القراء، فحكم الخوارج، فلا يزال هذا التحكيم إلى يوم القيامة، والمغيرة بن شعبة بشأن البيعة ليزيد، وقال «الحسن»: فمن أجل ذلك بايع هؤلاء لأبنائهم، ولولا ذلك لكانت شورى إلى يوم القيامة.

وروى «ابن جرير الطبري»، عن هشام بن محمد، عن أبي مخنف، ولي «يزيد» في هلال رجب سنة ستين، وأمير المدينة «الوليد بن عتبة بن أبي سفيان» وأمير الكوفة «النعمان بن بشير» الأنصاري، وأمير البصرة «عبيد الله بن زياد»، وأمير مكة «عمرو بن سعيد بن العاص» ولم يكن ليزيد هِمَّته حين ولي إلَّا بيعه

obeikandl.com

النفر الذين أَبَوْا على «معاوية» الإجابة إلى بيعة «يزيد» حين دعا الناس إلى بيعته، وأنه ولي عهده بعده، والفراغ من أمرهم، فكتب إلى الوليد: بسم الله الرحمٰن الرحيم، من يزيد أمير المؤمنين إلى «الوليد بن عتبة»، أما بعد، فإن «معاوية» كان عبداً من عباد الله، أكرمه الله واستخلفه، وخَوَّله، ومكَّن له، فعاش بقدر، ومات بأجل، فرحمه الله، فقد عاش محموداً، ومات بَرًّا تَقياً، والسلام.

وكتب إليه في صحيفة كأنها أذن فأرة: أما بعد، فخذ «حسيناً» و«عبد الله بن عمر» و«عبد الله بن الزبير» بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا، والسلام.

فلما أتاه نَعِيُّ «معاوية» فَظِعَ به، وكبُر عليه، فبعث إلى «مروان بن الحكم» فدعاه إليه ـ وكان «الوليد» يوم قدم المدينة قدمها «مروان» متكارهاً ـ فلما رأى ذلك «الوليد» منه شتمه عند جلسائه، فبلغ ذلك «مروان»، فجلس عنه وصرمه، فلم يزل كذلك حتى جاء نَعِيُّ «معاوية» إلى «الوليد»، فلما عظم على «الوليد» هلاك «معاوية» وما أمر به من أخذ هؤلاء الرهط بالبيعة، فزع عند ذلك إلى «مروان»، ودعاه، فلما قرأ عليه كتاب «يزيد»، استرجع وترحَّم عليه، واستشاره «الوليد» في الأمر، وقال: كيف ترى أن نصنع؟ قال: فإني أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة، والدخول في الطاعة، فإن فعلوا قبلت منهم، وكففت عنهم، وإن أبوا قدمتهم فضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت «معاوية»، فإنهم إن علموا بموت «معاوية» وثَبَ كل امرىء منهم في جانب، وأظهر الخلاف والمنابذة، ودعا إلى نفسه لا أدري؛ أما «ابن عمر» فإني لا أراه يرى القتال، ولا يحب أن يولَّى على الناس، إلَّا أن يُدْفَعَ إليه هذا الأمر عفواً.

فأرسل «عبد الله بن عمرو بن عثمان» ـ وهو إذ ذاك غلام حدث ـ إليهما يدعوهما، فوجدهما في المسجد وهما جالسان، فأتاهما في ساعة لم يكن «الوليد» يجلس فيها للناس، ولا يأتيانه في مثلها، فقال: أجيبا الأمير يدعوكما، فقالا له: انصرف الآن نأتيه، ثم أقبل أحدهما على الآخر، فقال «عبد الله بن الزبير» للحسين: ظُنَّ فيما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها!

obeikandi.com

فقال «حسين»: قد ظننت، أرى طاغيتهم قد هلك، فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشو في الناس الخبر. فقال: وأنا ما أظن غيره، قال: فما تريد أن تصنع؟ قال: أجمع فتياني الساعة، ثم أمشي إليه، فإذا بلغتُ الباب احتبستهم عليه، ثم دخلت عليه، قال: فإني أخافه عليك إذا دخلت، قال: لا آتيه إلا وأنا على الامتناع قادر، فقام فجمع إليه مواليه وأهل بيته، ثم أقبل يمشي حتى انتهى إلى باب «الوليد»، وقال لأصحابه: إني داخل، فإن دعوتكم أو سمعتم صوته قد علا، فاقتحموا عليَّ بأجمعكم، وإلَّا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم، فدخل فسلَّم عليه بالإمرة، و«مروان» جالس عنده، فقال «حسين»؛ كأنه لا يظن ما يظن من موت «معاوية»: الصلة خير من القطيعة، أصلح الله ذات بينكما! فلم يجيباه في هذا بشيء، وجاء حتى جلس، فأقرأه «الوليد» الكتاب، ونعى له «معاوية»، ودعاه إلى البيعة، فقال «حسين»: وإنا لله وإنا إليه راجعون! ورحم الله «معاوية»، وعظَّم لك الأجر! أما ما سألتني من البيعة فإن مثلي لا يُعْطي بيعته سراً، ولا أراك تجتزىء بها مني سراً دون أن تظهرها على رؤوس الناس علانية، قال: أَجَلْ، قال: فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس، فكان أمراً واحداً، فقال له «الوليد» ـ وكان يحب العافية ـ: فانصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس، فقال له «مروان»: والله! لئن فارقك الساعة، ولم يبايع، لا قدرتَ منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجلَ، ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه، فوثب عند ذلك «الحسين»، فقال: يابن الزرقاء! أنت تقتلني أم هو؟، فقال «مروان» للوليد: عصيتني، لا والله! لا يُمكِنُك من مثلها من نفسه أبداً، قال «الوليد»: وَبِّخْ غيرك يا مروان! إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني، والله! ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا ومُلكِها، وأني قتلت «حسيناً»، سبحان الله! أقتل «حسيناً» أن قال: لا أبايع! والله! إني لا أظن امرءاً يُحَاسَب بدم «حسين» لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة، فقال له «مروان»: فإذا كان هذا رأيك فقد أصبت فيما صنعت، يقول هذا له، وهو غير الحامد له على رأيه.

وأما «ابن الزبير»، فقال: الآن آتيكم، ثم أتى داره فكمن فيها، فبعث «الوليد» إليه فوجده مجتمعاً في أصحابه متحرزاً، فألحَّ عليه بكثرة الرسل والرجال

في إثر الرجال، فأما «حسين» فقال: كُفَّ حتى تنظر وننظر، وترى ونرى، وأما «ابن الزبير» فقال: لا تعجلوني فإني آتيكم، أمهلوني، فألَحُّوا عليهما عشيتهما تلك كلها وأول ليلهما، وكانوا على «حسين» أشد إبقاء، وبعث «الوليد» إلى «ابن الزبير» موالي له فشتموه، وصاحوا به: يابن الكاهلية! والله! لتأتيَنَّ الأمير أو ليقتُلَنَّكَ، فلبث بذلك نهاره كله وأول ليله يقول: الآن أجيء، فإذا استحثوه قال: والله! لقد استربت بكثرة الإرسال، وتتابع هذه الرجال، فلا تعجلوني حتى أبعث إلى الأمير من يأتيني برأيه وأمره، فبعث إليه أخاه «جعفر بن الزبير» فقال: رحمك الله! كُفَّ عن «عبد الله» فإنك قد أفزعته وذَعَرْتَه بكثرة رسلك، وهو آتيك غداً إن شاء الله، فَمُرْ رسلك فلينصرفوا عنا، فبعث إليهم فانصرفوا.

وخرج «ابن الزبير» من تحت الليل، فأخذ طريق «المُفْرِع» هو وأخوه «جعفر»، ليس معهما ثالث، وتجنَّب الطريق الأعظم مخافة المطلب، وتوجَّه نحو مكة.

فلما أصبح بعث إليه «الوليد» فوجده قد خرج، فقال «مروان»: والله إنْ أخطأ ـ أي: ما أخطأ ـ مكة، فسرِّح في أثره الرجال، فبعث راكباً من موالي بني أمية في ثمانين راكباً، فطلبوه فلم يقدروا عليه، فرجعوا، فتشاغلوا عن «حسين» بطلب «عبد الله» يومهم ذلك حتى أمْسَوْا، ثم بعث الرجال إلى «حسين» عند المساء، فقال: أصبِحوا، ثم ترون ونرى، فكفُّوا عنه تلك الليلة، ولم يُلحُّوا عليه، فخرج «حسين» من تحت ليلته، وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب سنة ستين، وكان مخرج «ابن الزبير» قبله بليلة، خرج ليلة السبت، فأخذ طريق «الفُرْع»، فبينا «عبد الله بن الزبير» يساير أخاه «جعفراً» إذ تمثل «جعفر» بقول «صَبِرَةَ الحنظليِّ»:

وكل بني أم سيُمْسون ليلةً ... ولم يبقَ من أعقابهم غير واحد

فقال «عبد الله»: سبحان الله! ما أردتَ إلى ما أسمعُ يا أخي!؟ قال: والله! يا أخي ما أردت به شيئاً مما تكره؛ فقال: فذاك والله! أكره إليَّ أن يكون جاء على لسانك من غير تعمُّد ـ قال: وكأنه تطيَّر منه ـ.

وأما «الحسين» فإنه خرج ببنيه وإخوته وبني أخيه، وجُلِّ أهل بيته، إلَّا «محمد بن الحنفية» فإنه قال له: يا أخي! أنت أحب الناس إليَّ، وأعزُّهم عليَّ،

obeikandi.com

ولست أدخر النصيحة لأحد من الخلق أحق بها منك، تَنَحَّ بِتَبِعتك عن «يزيد بن معاوية» وعن الأمصار ما استطعت، ثم ابعث رسلك إلى الناس، فادعهم إلى نفسك، فإن بايعوا لك حَمِدتُ الله على ذلك، وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقصِ الله بذلك دينك ولا عقلك، ولا يذهب به مروءتك ولا فضلك، إني أخاف أن تدخل مصراً من هذه الأمصار، وتأتي جماعة من الناس، فيختلفون بينهم، فمنهم طائفة معك، وأخرى عليك، فيقتتلون فتكون لأول الأسِنَّة، فإذا خير هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأماً، أضيعها دماً وأذلها أهلاً، قال له «الحسين»: فإني ذاهب يا أخي! قال: فانزل مكة، فإن اطمأنت بك الدار، فسبيلُ ذلك، وإن بنت بك لحقت بالرمال، وشعف الجبال، وخرجت من بلد إلى بلد حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس، وتعرف عند ذلك الرأي، فإنك أصوب ما تكون رأياً وأحزمُه عملاً، حين تستقبل الأمور استقبالاً، ولا تكون الأمور عليك أبداً أشكل منها حين تستدبرها استدباراً، قال: يا أخي! قد نصحت فأشفقت، فأرجو أن يكون رأيك سديداً موفَّقاً.

ثم إن «الوليد» بعث إلى «عبد الله بن عمر» فقال: بايع ليزيد، فقال: إذا بايع الناس بايعتُ، فقال رجل: ما يمنعك أن تبايع؟ إنما تريد أن يختلف الناس فيقتتلوا ويتفانوا، فإذا جَهَدهم ذلك، قالوا: عليكم بعبد الله بن عمر، لم يبقَ غيره، بايعوه! قال «عبد الله»: ما أحب أن يقتتلوا ولا يختلفوا ولا يتفانوا، ولكن إذا بايع الناس، ولم يبقَ غيري بايعتُ، قال: فتركوه وكانوا لا يتخوفونه.

قال: ومضى «ابن الزبير» حتى أتى مكة، وعليها «عمرو بن سعيد»، فلما دخل مكة، قال: إنما أنا عائذ، ولم يكن يصلي بصلاتهم، ولا يفيض بإفاضتهم، كان يقف هو وأصحابه ناحية، ثم يفيض بهم وحده، ويصلي بهم وحده.

قال: فلما سار «الحسين» نحو مكة، قال: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص، الآية: ٢١]، فلما دخل مكة قال: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [القصص، الآية: ٢٢] [١]. ثم التقى «ابن الزبير» و«الحسين» بـ«ابن عباس» و«ابن عمر» آتيين من

---

(١) تاريخ الطبري (٥/٢٣٨ ـ ٢٤٣).

مكة، فقالا: ما وراءكما؟ قالا: موت «معاوية» والبيعة ليزيد، فقال لهما «ابن عمر»: اتقيا الله ولا تفرقا جماعة المسلمين، وبعد أن جاءت البيعة من البلدان، تقدم «ابن عمر» إلى «الوليد بن عتبة» فبايعه، ثم بايعه «ابن عباس».

وأما «الحسين بن علي» رضي الله عنهما فقد أرسل إليه أهل الكوفة بالكتب حتى يسير إليهم، ولما أجمع أمره على إجابتهم نصح له «عمرو بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام» ألا يفعل، ثم طلب منه «ابن عباس» ذلك أيضاً، وقال: أعيذك بالله من ذلك، خبرني ـ رحمك الله ـ أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم، فإن كانوا فعلوا ذلك فسر إليهم، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعماله تجبي بلادهم، فإنما دعوك إلى الحرب، ولا آمن عليك أن يَغُرُّوك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك ويستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك، فقال «الحسين»: فإني أستخير الله وأنظر ما يكون. ثم أتاه «ابن عباس» في اليوم الثاني وألح عليه ألَّا يخرج، فأبى نصحه له، فلما رأى ذلك قال له: فإن كنت سائراً فلا تسر بنسائك وصبيتك فإني لخائف أن تقتل كما قتل «عثمان» ونساؤه وأهله ينظرون إليه، فلم يقبل هذه أيضاً.

وفي الطريق ـ عند الثعلبية ـ أتاه نبأ مصرع «مسلم بن عقيل» فقال له بعض أصحابه: ننشدك الله إلَّا ما رجعت، فإنه ليس لك في الكوفة من ظهير ولا ناصر، فهبَّ بنو عقيل وقالوا: لا نبرح حتى نأخذ ثأرنا أو نذوق ما ذاق «مسلم».

ثم لقيه «الحر بن يزيد التميمي» في ألف فارس، فقال للحسين رضي الله عنه: لقد أُمِرْنا ألَّا نفارقك حتى تقدم معنا على «عبيد الله بن زياد»، فقال «الحسين»: الموت أدنى إليك من ذلك، ثم صار يراقبه حتى لا ينصرف «الحسين» إلى المدينة، واتجه «الحسين» شمالاً حتى بلغ نينوى، فلقي «عمر بن سعد بن أبي وقاص» ومعه جيش عدته أربعة آلاف سيَّره «ابن زياد» لقتاله، فأخبره «الحسين» أنه قدم بناء كتب أهل العراق، فإن لم يكن لديهم رغبة به عاد من حيث أتى، فكتب «عمر بن سعد» إلى «ابن زياد» بذلك، فقال:

الآن إذ علقت مخالبنا به ... يرجو النجاة ولات حين مناصِ

ثم أرسل إلى «عمر» ليطلب من «الحسين» وصحبه البيعة ليزيد، فإن أبوا

منعهم الماء وعطشهم كما فُعِلَ بعثمان غداة قتله يوم الدار.

واستعدوا للهجوم على «الحسين» وصحبه، فقال رجل يدعى «المهاجر بن أوس» للحر بن يزيد، وقد أخذ يوجه فرسه وجهة «الحسين»: أتريد أن تحمل؟ يابن يزيد! ثم أخذته العُرَوَاء - الرِّعْدة - فقال له: ما بك؟ إن أمرك لمريب؟ ليس في الكوفة من هو أشجع منك، فما الذي أصابك؟ فقال له «الحر»: إني أختار، بين الجنة والنار، ووالله! لا أختار شيئاً على الجنة، ثم ضرب فرسه، ولحق بالحسين، وقاتل دونه، حتى استُشْهِدَ بين يديه، بعد أن قبَّل يده وسلَّم عليه.

وعطش «الحسين» حتى اشتد عليه العطش، فدنا ليشرب من الماء فرماه رجل يدعى «حصين بن تميم» بسهم، فوقع في فمه، فجعل يتلقَّى الدم من فمه، ويرمي به إلى السماء، ثم حمِدَ الله وأثنى عليه، ثم جمع يديه، فقال: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تذر على الأرض منهم أحداً.

وحاول رجل من بني أبان منع «الحسين» من الوصول إلى الماء، فقال: اللهم! أَظْمِهِ، فرماه الأبانيُّ بسهم، فأثبته في فك «الحسين» فانتزع «الحسين» السهم، ثم بسط كفيه فامتلأتا دماً، ثم قال «الحسين»: اللهم! إني أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك، فما مكث الرجل إلا يسيراً حتى صَبَّ الله عليه الظمأ فجعل لا يروى، وكانوا يأتونه بِعِسَاسِ اللبن، وقِلاَلِ الماء، فيشربها، ثم يقول: اسقوني، وظل يشرب حتى انقدَّ بطنه انقداد بطن البعير.

وسُمِعَ «الحسين» يومئذ، وهو يقول: اللهم! أمسك عنهم قَطْرَ السماء، وامنعهم بركاتِ الأرض، اللهم! فإن متعتهم إلى حين ففرِّقهم فِرَقاً، واجعلهم طرائق قِدَداً، ولا تُرْضِ عنهم الولاة أبداً، فإنهم دعونا لينصرونا، فَعَدَوْا علينا فقتلونا.

وروى ابن جرير الطبري، عن حميد بن مسلم، قال: كانت عليه جبة من خز، وكان مُعْتَمًّا، وكان مخضوباً بالوَسِمَة، قال: وسمعته يقول قبل أن يقتل، وهو يقاتل على رجليه قتال الفارس الشجاع يتقي الرمية، ويفترص - ينتهز - العورة، ويشد على الخيل، وهو يقول: أعلى قتلي تحاثُّون؟ أما والله! لا تقتلون بعدي عبداً من عباد اللهِ، اللهُ أسخط عليكم لقتله مني، وايم الله! إني لأرجو أن

يكرمني الله بهوانكم، ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون، أما والله! لو قد قتلتموني، لقد ألقى الله بأسكم بينكم، وسفك دماءكم، ثم لا يرضى لكم حتى يضاعف لكم العذاب الأليم.

قال: ولقد مكث طويلاً من النهار، ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا، ولكنهم كان يتقي بعضهم ببعض، ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء، قال: فنادى «شَمَرَ» في الناس: ويحكم! ماذا تنظرون بالرجل؟ اقتلوه، ثكلتكم أمهاتكم! قال: فَحُمِلَ عليه من كل جانب، فضربت كفه اليسرى ضربة، ضربها «زُرْعَة بن شريك التميمي» وضرب على عاتقه، ثم انصرفوا وهو ينوء ويكبو؛ قال: وحمل عليه في تلك الحال «سنان بن أنس بن عمرو» النخعي، فطعنه بالرمح، فوقع، ثم قال لِخَوَلي بن يزيد الأصبحي: احتز رأسه، فأراد أن يفعل، فضَعُف فأُرْعِدَ، فقال له «سنان بن أنس»: فَتَّ الله عضديك، وأبان يديك! فنزل إليه فذبحه واحتَزَّ رأسه، ثم دُفِعَ إلى «خَوَليِّ بن يزيد»، وقد ضُرِبَ قبل ذلك بالسيوف[(١)].

وذكر «السيوطي» في «تاريخ الخلفاء»: (وبعث أهل العراق إلى «الحسين» الرسل والكتب يدعونه إليهم، فخرج من مكة إلى العراق في عشر ذي الحجة، ومعه طائفة من أهل بيته رجالاً ونساء وصبياناً، فكتب «يزيد» إلى واليه بالعراق «عبيد الله بن زياد» بقتاله، فوجَّه إليه جيشاً أربعة آلاف عليهم «عمرو بن سعد بن أبي وقاص»، فخذله أهل الكوفة، كما هو شأنهم مع أبيه من قبله، فلما رهقه السلاح، عرض عليه الاستسلام والرجوع والمضي إلى «يزيد» فيضع يده في يده، فأبوا إلَّا قتله، فقتل، وجيء برأسه في طست حتى وضع بين يدي «ابن زياد»، لعن الله قاتلَه و«ابنَ زياد» معه، و«يزيد» أيضاً، وكان قتله بكربلاء، وفي قتله قصة فيها طول، لا يحتمل القلب ذكرها، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وقتل معه ستة عشر رجلاً من أهل بيته (عليهم رحمة الله تعالى).

ولما قتل «الحسين»، مكثت الدنيا سبعة أيام، والشمس على الحيطان، كالملاحف المصفرة، والكواكب يضرب بعضها بعضاً، وكان قتله يوم «عاشوراء»، وكسفت الشمس ذلك اليوم، واحمرَّت آفاق السماء ستة أشهر بعد

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٢ ـ ٤٥٣).

قتله، ثم لا زالت الحمرة ترى فيها بعد ذلك ولم تكن ترى فيها قبله.

وقيل: إنه لم يقلب حجر في بيت المقدس يومئذ إلَّا وجد تحته دم عبيط ـ طري ـ، وصار الورس الذي في عسكرهم رماداً، ونحروا ناقة في عسكرهم، فكانوا يرون في لحمها مثل النيران، وطبخوها فصارت مثل العلقم، وتكلم رجل في «الحسين» بكلمة، فرماه الله بكوكبين من السماء فطمس بصره)[١].

وتابع «السيوطي» قوله: (وأخرج الترمذي عن سلمى، قالت: دخلت على «أم سلمة» وهي تبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيتُ رسول الله ﷺ في المنام ـ وعلى رأسه ولحيته التراب ـ فقلت: ما لك يا رسول الله!؟ قال: «**شهدت قتل «الحسين» آنفاً**».

وأخرج البيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: رأيت رسول الله ﷺ بنصف النهار أشعث أغبر ـ وبيده قارورة فيها دم ـ فقلت: بأبي أنت وأمي، يا رسول الله! ما هذا؟ قال: «**هذا دم «الحسين» وأصحابه، لم أزل ألتقطه منذ اليوم**» فأحصي ذلك اليوم فوجدوه قتل يومئذ.

وأخرج أبو نعيم في «الدلائل»، عن أم سلمة، قالت: سمعت الجن تبكي على «حسين» وتنوح عليه.

وأخرج «ثعلب» في «أماليه» عن أبي ضباب الكلبي، قال: أتيت «كربلاء» فقلت لرجل من أشراف العرب: أخبرني بما بلغني أنكم تسمعون نَوْح الجن، فقال: ما تلقى أحداً إلَّا أخبرك أنه سمع ذلك، قلت: فأخبرني بما سمعت أنت، قال: سمعتهم يقولون:

مسح الرسولُ جبينَه ... فله بريقٌ في الخدودْ
أبواه من عليا قريـ ... ـش وَجدُّه خير الجدودْ

ولما قتل «الحسين» وبنو أبيه بعث «ابن زياد» برؤوسهم إلى «يزيد»، فسُرَّ بقتلهم أولاً، ثم ندم لَمَّا مقته المسلمون على ذلك، وأبغضه الناس، وحُقَّ لهم أن يبغضوه.

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص: ١٨٣ ـ ١٨٤، ط. دار المعرفة.

وأخرج أبو يعلى في مسنده ـ بسند ضعيف ـ عن أبي عبيدة، قال، قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال أمر أمتي بالقسط، حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أمية، يقال له «يزيد»**».

وقال نوفل بن أبي الفرات: كنت عند «عمر بن عبد العزيز»، فذكر رجلٌ «يزيدَ» فقال: قال أمير المؤمنين «يزيد بن معاوية» فقال: تقول أمير المؤمنين؟ وأمر به، فضُرِبَ عشرين سوطاً.

وفي سنة ثلاث وستين، بلغه أن أهل المدينة خرجوا عليه، وخلعوه، فأرسل إليهم جيشاً كثيفاً، وأمرهم بقتالهم، ثم المسير إلى مكة لقتال «ابن الزبير»، فجاءوا وكانت وقعة «الحَرَّة» على باب «طيبة»، وما أدراك ما وقعة «الحرة؟».

ذكرها «الحسن» مرة، فقال: والله! ما كاد ينجو منهم أحد، قتل فيها خلق من الصحابة ﷺ ومن غيرهم، ونُهِبَت المدينة، وافتُضَّ فيه ألفُ عذراء، فإنا لله وإنا إليه راجعون، قال ﷺ: «**من أخاف أهل المدينة أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»[(١)].

وتابع «السيوطي» قوله: وكان سبب خلع أهل المدينة له؛ أن «يزيد» أسرف في المعاصي، وأخرج الواقدي من طرق أن «عبد الله بن حنظلة الغسيل»، قال: والله! ما خرجنا على «يزيد» حتى خفنا أن يرمى بالحجارة من السماء! إنه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة.

قال الذهبي: ولما فعل «يزيد» بأهل المدينة ما فعل ـ مع شربه الخمر، وإتيانه المنكرات ـ اشتد عليه الناس، وخرج عليه غير واحد، ولم يبارك الله في عمره، وسار جيش الحَرَّة إلى مكة لقتال «ابن الزبير»، فمات أمير الجيش بالطريق، فاستُخْلِفَ عليهم أميرٌ، وأتوا مكة فحاصروا «ابن الزبير» وقاتلوه، ورموه بالمنجنيق، وذلك في صفر سنة أربع وستين، واحترقت من شرارة نيرانهم أستار الكعبة وسَقْفُها وقرنا الكبش الذي فَدَى الله به «إسماعيل»، وكانا في السقف،

(١) تاريخ الخلفاء، ص: ١٨٤ ـ ١٨٥.

وأهلك الله «يزيد» في نصف شهر ربيع الأول من هذا العام، فجاء الخبر بوفاته، والقتال مستمر.

فنادى «ابن الزبير»: يا أهل الشام! إن طاغيتكم قد هلك، فانفلُّوا، وذلُّوا، وتخطَّفهم الناس، ودعا «ابن الزبير» إلى بيعة نفسه، وتسمَّى بالخلافة، وأما أهل الشام فبايعوا «معاوية بن يزيد»، ولم تطل مدته[1].

وقلت في مصرع «الحسين» واستشهاده يوم كربلاء:

لهفي على زين الشباب أبي علي ... قتلوه في شرخ الشباب الأولِ
خفروا بذمته وذمة آله ... من غير مُكترَثٍ لأعظم مرسَلِ
ورووا بحقدهمُ اللئيم سيوفهم ... حين استباحوا له دماً لم يَحْلِلِ
فتبادروا سَخَطَ الإلهِ بِما جنوا ... وبجهلهم سوءَ المصير الأرذلِ
ونسوا عذاباً في غدٍ سينالهم ... عند العزيز الأكرم المتفضِّلِ
ولَوَ أنَّهم عَقَلوا لقال كبيرهم ... من دون أي تردد: لا تفعلِ
لكنهم ذبحوا حبيبَ المصطفى ... وتناوشوه وأهلَه بالمُنْصُلِ
بِجَراءةٍ لم تعرف الدنيا لها ... شبهاً ولم تتلقَّها بِتَقَبُّلِ
فجرى دم شهر الإله بطهره ... في آية نزلت بأحكم مُنْزَلِ
في سورة الأحزاب قد دلَّت على ... أسمى بيوتات الأنَام وأكملِ
وأحب من نزل القُرآنُ بذكرهم ... وَغَدا بِهم للعز أحصنُ مَعْقِلِ
يا ويلهم من والديه إذا التقوا ... بهما لدى قاضي السماء الأعدلِ!
يا ويلهم حين اللقاء بجَدِّه ... من هول يوم قمطريرٍ مُقْبِلِ!
وسؤالهم ماذا جَنَى ريحانتي ... حتى علوتم رأسه بالمِقْصَلِ؟
أتُرى يطيقون الإجابة حينها ... أم أن أفصحهم عَيِيُّ المِقْوَلِ؟
ولئن أساءوا حين زرع غراسهم ... فحصادهم سيكون مُرَّ الحَنْظَلِ
يوم الحساب إذا الصحائف نُشِّرَتْ ... وسوادها قد فاق كحلَ المِكْحَلِ
وإذا الشهادة نالها أحدٌ فقد ... فاز ابن فاطِم بالوسام الأمثلِ
وعلى طريق أبيه سار مُشَيَّعاً ... بعزيمةٍ شَمَّاءَ لم يتحوَّلِ
عن نهج جَدٍّ لم يجِدْ أهل الوغى ... عن وصف ما أبلى به بالأفضلِ

(١) تاريخ الخلفاء، ص: ١٨٥.

openkanz.com

أحسينُ إن ظن البغاة بأنهم بلغوا برأسك غايةَ المتأمِّلِ
لكنَّهم وهَموا وفيَّلَ رأيهم ما جَرَّ جريُهمُ وراء مُضَلَّلِ
وأراهم إن أفسدوا دنياك قد أفسدت أخراهم بغير تَمَحُّلِ
وبقتل مثلك قد أصابوا مَغرماً وتحملوا وزراً عظيم المَحْمِلِ
فالنجح في الدنيا عديم نفعه إن ضاعت الأخرى ولم يُتَوَصَّلِ
لنعيمها بجميلِ فعلٍ يبتغى وجه الإلّه به بكل تَعَقُّلِ
والخاسرون نفوسَهم من أسرفوا في زَجِّها برضائهم في مَوْحِلِ
فلينظر الإنسان أين نجاته وهلاكه قبل الوصولِ لأسْفَلِ؟
وأوانُها ما للندامة من غِنًى وإذا توسَّلَ لات حين توسُّلِ
فاختر بقاءك في ضياء غامرٍ وإذا أبيت ففي ظلامِ مُسْدَلِ
واختار من قتلوا الحسينَ مصيرهم في شر منقَلبٍ وأخزى منزلِ
يا أيها السفهاء إن حُسَيْنَنا حيٌّ ورزقه عند رب مُفضلِ
وإخالُ فاطم أرضعته إياءها فأبى الهوانَ ولم يعش بتزلُّلِ
ولئن أبى عيش الهوانِ فقبله لا جَدُّه قَبِلَ الهوانَ ولا علي

رحم الله «الحسين» و«الحسن» أخاه، ورحم الله أمه وأباه، ورحم الله الحبيب الأعظم، وجدهما الأكرم، ﷺ، وجزى من آذاهم وأساء إليهم، وأبغضهم وحقد عليهم، سوء المصير، إنه بالإجابة جدير.

وروى «أبو جعفر الطبري» في تاريخه، عن حميد بن مسلم، قال: انتهيت إلى «علي بن الحسين بن علي الأصغر» وهو منبط على فراش له، وهو مريض، وإذا «شَمِر بن ذِي الجوشن» في رجَّالة معه، يقولون: ألا نقتل هذا؟ قال: فقلت: سبحان الله! أنقتل الصبيان؟ إنما هذا صبي، قال: فما زال ذلك دأبي أدفع عنه كل من جاء، حتى جاء «عمر بن سعد» فقال: ألا لا يدخلَنَّ بيت هؤلاء النسوة أحد، ولا يَعْرِضَنَّ لهذا الغلام، ومن أخذ من متاعهم شيئاً فَلْيَرُدَّه عليهم، قال: فوالله! ما ردَّ أحد شيئاً.

قال: فقال «علي بن الحسين»: جزيت من رجل خيراً! فوالله! لقد دفع الله عني بمقالتك شراً، قال: فقال الناس لسنان بن أنس: قتلت «حسين بن علي» وابن «فاطمة» ابنة رسول الله ﷺ، قتلت أعظم العرب خطراً، جاء إلى هؤلاء يريد

أن يزيلهم عن ملكهم، فاتِ أمراءك، فاطلب ثوابك منهم، لو أعطوك بيوت أموالهم في قتل «الحسين» كان قليلاً، فأقبل على فرسه، وكان شجاعاً شاعراً، وكانت به لُوثَة، فأقبل حتى وقف على باب فسطاط «عمر بن سعد»، ثم نادى بأعلى صوته:

أوقر ركابي فضة وذهبَا أنا قتلت الملك المحجَّبا

قتلت خير الناس أمًّا وأبا وخيرهم إذ ينسبون نسبَا

فقال «عمر بن سعد»: أشهد أنك لمجنون ما صححت قط، أدخلوه عليَّ، فلما أدخل حذفه بالقضيب، ثم قال: يا مجنون! أتتكلم بهذا الكلام؟ أما والله! لو سمعك «ابن زياد» لضرب عنقك.

قال: وأخذ «عمر بن سعد»، «عُقْبة بن سِمْعان» ـ وكان مولى للرباب بنت امرىء القين الكلبية، هي أم «سكينة بنت الحسين» ـ فقال له: ما أنت؟ قال: أنا عبد مملوك، فخلَّى سبيله، فلم ينج منهم أحد غيره، إلَّا أن «المُرَقَّع بن ثمامة» الأسدي، كان قد نَثَر نبله، وجثا على ركبتيه فقاتل، فجاءه نفر من قومه، فقالوا له: أنت آمن، اخرج إلينا، فخرج إليهم، فلما قدم بهم «عمر بن سعد» على «ابن زياد» وأخبرهُ خبرَه سيره إلى الزارة، قال: ثم إن «عمر بن سعد» نادى في أصحابه: من ينتدب للحسين ويوطئه فرسَه؟ فانتدب عشرة: منهم «إسحاق بن حَيْوَة» العثرمي، وهو الذي سلب قميص «الحسين» ـ فبرص بعدُ ـ و«أحبش بن مرثد بن علقمة بن سلامة» الحضرمي، فأتوا فداسوا «الحسين» بخيولهم حتى رضُّوا ظهره وصدره، فبلغني أن «أحبش بن مرثد» بعد ذلك بزمان أتاه سهم غَرْي، وهو واقف في قتال فَفَلَقَ قلبه، فمات.

قال: فقتل من أصحاب «الحسين» عليه السلام اثنان وسبعون رجلاً، ودَفَنَ «الحسين» وأصحابه أهل الغاضرية من بني أسد بعدما قتلوا بيوم، وقتل من أصحاب «عمر بن سعد» ثمانية رجلاً سوى الجرحى، فصلَّى عليهم «عمر بن سعد» ودفنهم.

قال: وما هو إلا أن قتل «الحسين»، فسرَّح برأسه من يومه ذلك مع «خَوَليِّ بن يزيد» و«حميد بن سالم» الأزدي إلى «عبيد الله بن زياد»، فأقبل به

«خَوَلي» فأراد القصر، فوجد باب القصر مغلقاً، فأتى منزله فوضعه تحت إجَّانة[١] في منزله، وله امرأتان: امرأة من بني أسد، والأخرى من الحضرميين، يقال لها: «النوار بْنَة مالك بن عقرب»، وكانت تلك الليلة ليلة الحضرمية.

قال هشام: فحدثني أبي، عن «النوار بنت مالك»، قالت: أقبل «خَوَلي» برأس «الحسين» فوضعه تحت إجَّانة في الدار، ثم دخل البيت، فأوى إلى فراشه، فقلت له: ما الخبر؟ ما عندك؟ قال: جئتك بغنى الدهر، هذا رأس «الحسين» معك في الدار، قالت: فقلت: ويلك ـ جاء الناس بالذهب والفضة، وجئت برأس ابن رسول الله ﷺ! لا والله! لا يجمع رأسي ورأسك بيت أبداً.

قالت: فقمت من فراشي، فخرجت إلى الدار، فدعا الأسدية، فأدخلها إليه، وجلست أنظر، قالت: فوالله! ما زلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الإجَّانة، ورأيت طيراً بيضاً ترفرف حولها، قال: فلما أصبح غدا بالرأس إلى «عبيد الله بن زياد»، وأقام «عمر بن سعد» يومه ذاك والغد، ثم أمر «حميد بن بكير» الأحمري، فأذن في الناس بالرحيل إلى الكوفة، وحمل معه بنات «الحسين» وأخواته ومن كان معه من الصبيان، و«علي بن الحسين» مريض.

وعن «قُرَّة بن قيس» التميمي، قال: نظرت إلى تلك النسوة لما مررت بحسين وأهله وولده صِحْنَ ولطمن وجوههن، قال: فاعترضتُهن على فرس، فما رأيت منظراً من نسوة قط كان أحسن من منظر رأيته منهن ذلك اليوم، والله! لهن أحسن من مَهَا «يبرين».

قال: فما نسيت من الأشياء لا أنسى قول «زينب بْنَة فاطمة» حين مرت بأخيها «الحسين» صريعاً، وهي تقول: يا محمداه! يا محمداه! صلى عليك ملائكة السماء، هذا «الحسين» بالعراء، مُرَمَّل بالدماء، مقطَّع الأعضاء، يا محمداه! وبناتك سبايا، وذريتك مقتَّلة، تسفي عليها الصَّبَا.

قال: فأبكت والله! كل عدو وصديق، قال: وقطف رؤوس الباقين، فَسُرِّح باثنين وسبعين رأساً مع «شِمر بن ذي الجَوْشن» و«قيس بن الأشعث» و«عمرو بن

(١) إجَّانَة: إناء تغسل فيه الثياب.

obeikandi.com

الحجاج» و«عزرة بن قيس»، فأقبلوا حتى قدموا بها على «عبيد الله بن زياد».

وعن «حميد بن مسلم» قال: دعاني «عمر بن سعد» فسرَّحني إلى أهله لأبشرهم بفتح الله عليه وبعافيته، فأقبلت حتى أتيت أهله، فأعلمتهم ذلك، ثم أقبلت حتى أدخل فأجد «ابن زياد» قد جلس للناس، وأجد الوفد قد قدموا عليه، فأدخلهم، وأذن للناس، فدخلت فيمن دخل، فإذا رأس «الحسين» موضوع بين يديه، وإذا هو ينكُت بقضيب بين ثنيتيه ساعة، فلما رآه «زيد بن أرقم» لا ينجم عن نكته بالقضيب، قال له: اعْلُ بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين، فوالذي لا إله غيره! لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين يقبلهما، ثم انفضح الشيخ يبكي.

فقال له «ابن زياد»: أبكى الله عينيك! فوالله! لولا أنك شيخ قد خرفت، وذهب عقلك لضربت عنقك، قال: فنهض، فخرج، فلما خرج سمعت الناس يقولون: والله! لقد قال «زيد بن أرقم» قولاً لو سمعه «ابن زياد» لقتله؛ قال: فقلت: ما قال؟ قالوا: مر بنا وهو يقول: مَلَّكَ عبدٌ عبداً، فاتخذهم تُلُداً؛ أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم! قتلتم «ابن فاطمة»، وأمَّرتم «ابن مرجانة»، فهو يقتل خياركم، ويستعبد شراركم، فرضيتم بالذل، فبعداً لمن رضي بالذل.

قال: فلما دُخِلَ برأس «حسين» وأخواته ونسائه على «عبيد الله بن زياد» لبست زينب ابنةُ فاطمة «أرذل ثيابها» وتنكرت وحفَّت بها إماؤها، فلما دخلت جلست.

فقال «عبيد الله بن زياد»: من هذه الجالسة؟ فلم تكلمه، فقال ذلك ثلاثاً، قال: فقال لها «عبيد الله»: الحمد لله الذي فضحكم وقتَّلكم وأكذب أحدوثتكم! فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد ﷺ وطَهَّرنا تطهيراً، لا كما تقول أنت، إنما يفتضح الفاسق، ويكذِّب الفاجر، قال: فكيف رأيتِ صُنْعَ الله بأهل بيتك؟ قالت: كتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بَيْنَك وبينهم، فتَحاجُّون إليه وتَخاصمون عنده.

قال: فغضب «ابن زياد» واستشاط، قال: فقال له «عمرو بن حريث»: أصلح الله الأمير! إنما هي امرأة، وهل تؤخذ المرأة بشيء من منطقها؟ إنها لا

تؤاخذ بقول، ولا تُلاَمُ على خَطَل، فقال لها «ابن زياد»: قد أشفى الله نفسي من طاغيتك، والعصاة المردة من أهل بيتك.

قال: فبكت، ثم قالت: لعمري، لقد قتلتَ كهلي، وأَبَرْتَ أهلي، وقطَّعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت، فقال لها «عبيد الله»: هذه شجاعة، قد لعمري كان أبوك شاعراً شجاعاً.

قالت: ما للمرأة الشجاعة! إن لي عن الشجاعة لشغلاً، ولكن نَفْثي ما أقول.

وعن المجالد بن سعيد: إن «عبيد الله بن زياد» لما نظر إلى «علي بن الحسين» قال لشرطي: أنظر هل أدرك ما يدرك الرجال؟ فكشط إزاره عنه، فقال: نعم، قال: فانطلِقُوا فاضربوا عنقه، فقال له «علي»: إن كان بَيْنَك وبين هؤلاء النسوة قرابة فابعث معهن رجلاً يحافظ عليهن، فقال له «ابن زياد»: تعال أنت، فبعثه معهن.

وعن حميد بن مسلم، قال: إني لقائم عند «ابن زياد» حين عرض عليه «علي بن الحسين» فقال له: ما اسمك؟ قال: أنا «علي بن الحسين» قال: أو لم يقتل الله «علي بن الحسين؟». فسكت، فقال له «ابن زياد»: ما لك لا تتكلم؟ قال: قد كان لي أخ يقال له أيضاً: «عليٌّ»، فقتله الناس، قال: إن الله قد قتله، قال: فسكت «عليٌّ» فقال له: ما لك لا تتكلم؟ قال: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزُمَر، الآية: ٤٢]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان، الآية: ١٤٥]. قال: أنت والله! منهم، ويحك! انظروا، هل أدرك؟ والله! إني لأحسبه رجلاً.

قال: فكشف عنه «مُرَيُّ بن معاذ» الأحمري، فقال: نعم قد أدرك، فقال: اقتله، فقال «علي بن الحسين»: من توكَّل بهؤلاء النسوة؟

وتعلقت به «زينب» عمته، فقالت: يابن زياد! حَسْبُك منا، أما رويت من دمائنا؟ وهل أبقيت منا أحداً؟

قال: فاعتنقَتْه، فقالت: أسألك بالله إن كنت مؤمناً إن قتلته لمَّا قتلتني معه،

قال: وناداه «عليٌّ» فقال: يابن زياد! إن كانت بينك وبينهن قرابة فابعث معهن رجلاً تقياً يصحبهن بصحبة الإسلام.

قال: فنظر إليها ساعة، ثم نظر إلى القوم فقال: عجباً للرحم! والله! إني لأظنها ودَّت لو أني قتلته أني قتلتُها معه، دعوا الغلام، انطلق مع نسائك.

قال حميد بن مسلم: لما دخل «عبيد الله» القصر، ودخل الناس، نودي: الصلاة جامعة! فاجتمع الناس في المسجد الأعظم، فصَعِدَ المنبر «ابن زياد» فقال: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين «يزيد بن معاوية» وحزبه، وقتل الكذاب ابن الكذاب «الحسين بن علي» وشيعته، فلم يفرغ «ابن زياد» من مقالته حتى وثب إليه «عبد الله بن عفيف» الأَزْديُّ، ثم الغامديُّ، ثم أحد بني والبة ـ وكان من شيعة «عليٍّ» كرم الله وجهه، وكانت عينه اليسرى ذهبت يوم الجمل مع «عليٍّ»، فلما كان يوم «صِفّين» ضرب على رأسه ضربة، وأخرى على حاجبه، فذهبت عينه الأخرى، فكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم يصلي فيه إلى الليل، ثم ينصرف ـ قال: فلما سمع مقالة «ابن زياد»، قال: يابن مرجانة! إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاَّك وأبوه، يابن مرجانة! أتقتلون أبناء النبيين، وَتَكلَّمون بكلام الصدِّيقين؟ فقال «ابن زياد»: عليَّ به، فوثبت عليه الجلاوزة، فأخذوه.

قال: فنادى بشعار الأزد: يا مبرور! ـ قال: و«عبد الرحمٰن بن مخنف» الأزديُّ جالس ـ فقال: ويح غيرك! أهلكت نفسك، وأهلكت قومك.

قال: وحاضر الكوفة يومئذٍ من الأزد سبعمائة مقاتل، قال: فوثب إليه فتية من الأزد فانتزعوه، فأتوا به أهله، فأرسل إليه من أتاه به، فقتله وأمر بصلبه في السَّبَخَة، فصلب هنالك.

قال أبو جعفر الطبري، عن الغاز بن ربيعة الجُرَشِيّ، من حمير، قال: والله! إنا لعند «يزيد بن معاوية» بدمشق إذ أقبل «زَحْر بن قيس» حتى دخل على «يزيد بن معاوية» فقال له «يزيد»: ويلك! ما وراءك؟ وما عندك؟ فقال: أبشر، يا أمير المؤمنين! بفتح الله ونصره، ورد علينا «الحسين بن علي» في ثمانية عشر من أهل بيته، وستين من شيعته، فسرنا إليهم، فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على

حكم الأمير «عبيد الله بن زياد» أو القتال، فاختاروا القتال على الاستسلام، فعدونا عليهم مع شروق الشمس، فأحطنا بهم من كل ناحية، حتى إذا أخذت السيوف مأخذها من هام القوم، يهربون إلى غير وَزَر، ويلوذون منا بالآكام والحضر، لِواذاً كما لاذ الحمائم من صقر، فوالله! يا أمير المؤمنين! ما كان إلَّا جَزْرَ جَزُور، أو نومة قائل، حتى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم مجردة، وثيابهم مُرَمَّلة ـ أي: ملطخة بالدم ـ، وخدودهم معفَّرة، تصهرهم الشمس، وتسفي عليهم الريح، زوادهم العقبان والرَّخَم بِقِيٍّ سَبْسَب ـ القِيُّ: الأرض القفر الخالية، والسبسب: المَفازة ـ قال: فدمعت عين «يزيد»، وقال: قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل «الحسين»، لعن الله ابن سمية! أما والله! لو أني صاحبه لعفوت عنه، فرحم الله «الحسين!» ولم يصله بشيء.

قال: ثم إن «عبيد الله» أمر أبناء «الحسين» وصبيانه فَجُهِّزْنَ، وأمر بعلي بن الحسين فغُلَّ بِغُلٍّ إلى عنقه، ثم سَرَّح بهم مع «محفِّز بن ثعلبة» العائذي، عائذة قريش، ومع «شِمر بن ذي الجوشَنِ»، فانطلقا بهم حتى قدموا على «يزيد».

فلم يكن «علي بن الحسين» يكلم أحداً نهما في الطريق كلمة حتى بلغوا، فلما انتهوا إلى باب «يزيد» رفع «مُحَفِّز بن ثعلبة» صوته، فقال: هذا «محفز بن ثعلبة» أتى أمير المؤمنين باللئام الفجرة. قال: فأجابه «يزيد بن معاوية»: ما ولدت «أم مُحَفِّز» شر وألأم.

وعن القاسم بن عبد الرحمٰن مولى «يزيد بن معاوية»، قال: لما وضعت الرؤوس بين يدي «يزيد» ـ رأس «الحسين» وأهل بيته وأصحابه ـ قال «يزيد»:

يفلِّقن هاماً من رجال أعِزَّةٍ علينا وهم كانوا أعَقَّ وأظلما

أما والله! يا حسين! لو أنا صاحبك ما قتلتُك.

وقال «أبو جعفر الطبري» عن الحارث بن كعب، عن «فاطمة بنت علي»، قالت: لما أجلسنا بين يدي «يزيد بن معاوية» رقَّ لنا، وأمر لنا بشيء، وألطفنا، قالت: ثم إن رجلاً من أهل الشام أحمر، قام إلى «يزيد»، فقال: يا أمير المؤمنين! هب لي هذه يغنيني، وكنت جارية وضيئة ـ، فأُرْعِدْتُ وفَرِقْتُ، وظننت أن ذلك جائز لهم، وأخذت بثياب أختي «زينب»، قالت: وكانت أختي «زينب»

أكبر مني وأعقل، وكانت تعلم أن ذلك لا يكون، فقالت: كذبتَ واللهِ! ولَؤُمتَ! ما ذلك لك وله[1]، فغضب «يزيد» فقال: كذبتِ والله! إن ذلك لي، ولو شئتُ أن أفعله لفعلتُ، قالت: كلا والله! ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا، وتدين بغير ديننا، قالت: فغضب «يزيد» واستطار، ثم قال: إياي تستقبلين بهذا؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك، فقالت «زينب»: بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك، قال: كذبتِ يا عدوة الله!.

قالت: أنت أمير مسلَّط، تشتم ظالماً، وتقهر بسلطانك، قالت: فوالله! لكأنه استحيا، فسكت، ثم عاد الشامي، فقال: يا أمير المؤمنين! هب لي هذه الجارية؛ قال: اعزُبْ، وهَبَ الله لك حَتفاً قاضياً!.

قالت: ثم قال «يزيد بن معاوية»: يا نعمان بن بشير! جهزهم بما يصلحهم، وابعث معهم رجلاً من أهل الشام أميناً صالحاً، وابعث معه خيلاً وأعياناً فيسير بهم إلى المدينة، ثم أمر بالنسوة أن يُنْزلْنَ في دار على حدة، معهن ما يصلحهن، وأخوهن معهن «علي بن الحسين» في الدار التي هن فيها.

ولما أرادوا أن يخرجوا دعا «يزيد»، «علي بن الحسين» ثم قال له: لعن اللهُ «ابنَ مرجانة»، أما والله! لو أني صاحبه ما سألني خصلة أبداً إلا أعطيتها إياه، ولدفعتُ الحتف عنه بكل ما استطعت، ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن الله قضى ما رأيت، كاتبني وأَنْهِ كل حاجة تكون لك، قال: وكساهم وأوصى بهم ذلك الرسول.

وقال «الحارث بن كعب»: فقالت لي «فاطمة بنت عليّ»: قلت لأختي «زينب»: يا أخية! لقد أحسن هذا الرجل الشامي إلينا في صحبتنا، فهل لك أن نصله؟ فقالت: والله! ما معنا شيء نصله به إلَّا حلينا، قالت لها: فنعطيه حلينا، قالت: فأخذتُ سواري ودُمْلُجي، وأخذتْ أختي سوارها ودملجها، فبعثنا بذلك إليه، واعتذرنا إليه، وقلنا له: هذا جزاؤك بصحبتك إيانا بالحسن من الفعل، قال: فقال: لو كان الذي صنعت إنما هو للدنيا كان في حليكُنَّ ما يرضيني ودونه، ولكن والله! ما فعلته إلا لله، ولقرابتكم من رسول الله ﷺ. وقال «أبو

---

(١) عند ابن الأثير: «ولا له»، وهو أولى.

جعفر»، قال «هشام»: حدثني بعض أصحابنا، عن عمرو بن أبي المقدام، قال: حدثني عمرو بن عكرمة، قال: أصبحنا صبيحة قتل «الحسين» بالمدينة، فإذا مولى لنا يحدثنا، قال: سمعت البارحة منادياً ينادي، وهو يقول:

أيها القاتلون جهلاً حسيناً … أبشروا بالعذاب والتنكيلِ
كل أهل السماء يدعو عليكم … من نبي ومَلأكٍ وقبيلِ
قد لعنتم على لسان ابن داو … دَ وموسى وحامل الإنجيلِ

قال «هشام»: حدثني عمرو بن حيزوم الكلبي، عن أبيه، قال: سمعتُ هذا الصوت.

قال أبو جعفر: قال هشام، عن أبي مخنف، عن سليمان بن أبي راشد، عن عبد الرحمٰن بن عبيد أبي المكنود، قال: لما بلغ «عبد الله بن جعفر بن أبي طالب» مقتل ابنيه مع «الحسين»، دخل عليه بعض مواليه والناس يعزونه ـ قال: ولا أظن مولاه ذلك إلَّا «أبا اللِّسلاس ـ» فقال: هذا ما لقينا، ودخل علينا من «الحسين!» قال: فحذفه «عبد الله بن جعفر» بنعله، ثم قال: يابن اللخناء! أللحسين تقول هذا؟ والله! لو شهدتُه لأحببت ألَّا أفارقَه حتى أُقتلَ معه، والله! إنه لمما يُسَخِّي بنفسي عنهما، ويهون عليَّ المصاب بهما، أنهما أصيبا مع أخي وابن عمي مواسيَيْن له، صابرَيْن معه، ثم أقبل على جلسائه فقال: الحمد لله ﷻ على مصرع «الحسين»، إلَّا تكن آستْ «حسيناً» يدي، فقد آساه وَلَدي.

قال: ولما أتى أهل المدينة مقتل «الحسين» خرجت «ابنة عقيل بن أبي طالب» ومعها نساؤها، وهي حاسرة تلوي ثوبها، وهي تقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم؟ … ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم؟
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي … منهم أسارى ومنهم ضُرِّجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم … أن تُخْلِفُوني بسوء في ذوي رحمي[1]

أما عن أزواج «يزيد بن معاوية» فقد ذكر «ابن عساكر» في كتابه أعلام النساء:

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٤ ـ ٤٦٧) بتصرف يسير.

obeikandi.com

ـ «أم حبيب بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية»، العبشمية، ولدت له «معاوية» و«عبد الله»، وقال: كتبت إلى «النعمان بن بشير» تسأله عن قصة «زيد بن خارجة» الأنصاري الذي تكلم بعد موته، فكتب إليها بذلك: وكانت تكنى «أم عبد الله».

قال أبو بكر بن البرقي: ولد لِـ «أبي هاشم بن عتبة»: «عبد الله» و«أم حبيب» و«أم خالد».

وكانت «أم حبيب» عند «يزيد بن معاوية» فولدت له «معاوية» و«عبد الله»، ثم خلف «يزيد» على أختها «أم خالد بنت أبي هاشم» فولدت له «خالد بن يزيد بن معاوية»[١].

ـ «أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن عبد مناف بن قصي بن كلاب»، امرأة عاقلة.

عن الزبير قال: فولد «عبد الله بن عامر» فذكر أولاده، ثم قال: و«أم كلثوم بنت عبد الله» ولدت يزيد بن معاوية، وأمها: «أمة بنت عبد الوارث بن الحارث بن ربيعة بن خويلد بن نُفَيْل بن عمرو بن كلاب».

وقال: ولأم لثوم بنت عبد الله يقول «يزيد بن معاوية»، وكان «معاوية» وجهه يغزو الروم، فأقام بدير سمعان ووجَّه الجنود، وتلك غزوة «الطُّوَانة»، فأصابهم الوباء، فقال «يزيد بن معاوية»:

أهون علي بما لاقت جموعهمُ ... يوم الطُّوَانة من حمى ومن مُومِ
إذا اتكأت على الأنماط مرتفقاً ... بدير سمعان عندي أم كلثومِ

فبلغ «معاوية» ما قال، فقال: أقسم بالله لتلحقَنَّ بهم حتى يصيبك ما أصابهم فألحقه بهم.

ـ عن مفتي بن عبد الله بن عنبسة، عن أبيه، قال: تزوج «الأسوار عبد الله بن يزيد بن معاوية؛ أم عثمان بنت سعيد بن العاص» فولدت له «أبا

(١) أعلام النساء، ص: ٤٥، ط. دار الفكر.

سفيان» و«أبا عتبة»، وهي «أم سعيد» و«رملة» ابني «خالد بن عمرو بن عثمان»، فقيل لسعيد بن خالد: اخطب أمه، فأتى أمه «أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر» يخطبها، وهي بادية بظهر ذنبة ـ اسم موضع من أعمال دمشق ـ عليها قبة، قد اشترت غشاءها بألف دينار، فأتاها، وهو غلام يُرْعَد، فقال: أُحِبُّ أن تزوجيني نفسك، وهي يومئذٍ كبيرة قد قيدت فاها بالذهب، فقالت: مرحباً بابن أخي، لو كنتُ متزوجة أحداً من قريش لتزوجتك، إن أمك امرأة شابة، وأنا عجوز كبيرة، وإن هذا شيء لا يصنعه نساء قريش أبداً، قيل لك: تزوج أمه كما تزوج أمك، انطلق يابن أخي[1].

ـ تزوج «أم محمد بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف». عن الزبير، قال: في تسمية ولد «عبد الله بن جعفر» قال: و«يحيى» و«هارون» و«صالح الأكبر» و«موى» و«أم محمد» كانت عند «يزيد بن معاوية بن أبي سفيان» وأمهم جميعاً و«ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك بن ربعي بن سُلَمي بن جَنْدَل بن أبير بن نهشل».

وعن «مصعب بن عبد الله الزبيري» قال: خطب «يزيد بن معاوية» بنت «عبد الله بن جعفر» ذي الجناحين، إلى أبيها فزوَّجه، فلما أهديت إليه من المدينة إلى الشام، خرج يتلقَّاها، وأنشأ يقول:

جاءت بها وهم البغال وشبهها مُـسَيَّرة في جوف مَرٍّ مستَّرِ
مقابلة بين النبي محمدٍ وبين علي والجواد ابن جعفرِ
مَنافيَّة غرَّاء جادت بودِّها لعبدٍ مَنافِيٍّ أغرٍّ مُشَهَّرِ

فلما بلغت أبياته «عبد الله بن جعفر» قال: ما أراه ينسى نفسه في كل حال[2].

ـ تزوج «أم مسكين بنت عمر بن عاصم بن عمر بن الخطاب بن نفيل» «العدوية».

---

(١) أعلام النساء، ص: ٧٥ ـ ٧٦، ط. دار الفكر.
(٢) أعلام النساء، ص: ٧٧، ط. دار الفكر.

عن مصعب الزبيري، قال: وتزوج «يزيد بن معاوية»، «أم مسكين بنت عمر بن عاصم بن عمر بن الخطاب» فغارت امرأته «أم هاشم» وقعدت تبكي، فقال «يزيد»:

مـــالـــك أم هـــاشـــم تـــبـــكـــيـــنْ؟
بـــاعـــت عـــلـــى بـــيـــعـــك أم مـــســـكـــيـــنْ
مـــيـــمـــونـــة مـــن نـــســـوة مـــيـــامـــيـــنْ
زارتـــكِ مـــن يـــثـــربَ فـــي حُـــوَّاريـــنْ
فـــي مـــنـــزل كـــنـــتِ بـــه تـــكـــونـــيـــنْ

أخبرنا أبو الحسين بن الفراء، وأبو غالب، وأبو عبد الله، قالوا: أَخْبَرَنا محمد بن أحمد، عن الزبير، قال: وقدم المدينة ـ يعني: «يزيد بن معاوية» ـ فتزوج «أم مسكين بنت عمر بن عاصم بن عمر بن الخطاب» فحُمِلت إليه بالشام، فأعجب بها، وجفا «أم خالد»، فدخل عليها يوماً وهي تبكي، فقال:

مـــالـــك أم خـــالـــد تـــبـــكـــيـــنْ؟
مـــن قَـــدَر حَـــلَّ بـــكـــم تـــصـــيـــحـــيـــنْ
بـــاعـــت عـــلـــى بـــيـــعـــك أم مـــســـكـــيـــنْ
مـــيـــمـــونـــة مـــن نـــســـوة مـــيـــامـــيـــنْ
حَـــلَّـــت مـــحـــلـــك الـــذي تـــحـــلـــيـــنْ
زارتـــك مـــن يـــثـــربَ فـــي حُـــوَّارِيـــنْ   فـــي مـــنـــزل كـــنـــتِ بـــه تـــكـــونـــيـــنْ(١)

ـ تزوَّج «فاختة بنت عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس»، «أم كلثوم العبشمية».

كانت عنده بدمشق، وله فيها شعر، ولما قتل «الحسين بن علي» أكبرت مقتَله، وأقامت عليه المناحة(٢).

ـ تزوج «هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن

(١) أعلام النساء، ص: ٧٨ ـ ٧٩، ط. دار الفكر.
(٢) أعلام النساء، ص: ٢٧١، ط. دار الفكر.

عبد شمس» العبشمية، القرشية، لها ذكر في حديث «مقتل الحسين»(١).

وأما «أبو جعفر»؛ ابن جرير الطبري، فقد ذكر أولاد «يزيد بن معاوية» فقال: فمنهم «معاوية بن يزيد بن معاوية» يكنى «أبا ليلى»، وهو الذي يقول فيه الشاعر:

إنـي أرى فـتـنـة قـد حـان أولـهـا والـمـلـك بـعـد أبـي لـيـلـى لـمـن غَـلَـبَـا

و«خالد بن يزيد» وكان يكنَّى «أبا هاشم». ـ وكان يقال: إنه أصاب عمل الكيمياء ـ و«أبو سفيان»، وأمهما «أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس»، تزوجها بعد «يزيد»، «مزوان»، وهي التي يقول لها الشاعر:

انـعَـمِـي أم خـالـدِ ربَّ سـاعٍ لـقـاعـدِ

و«عبد الله بن يزيد»، قيل: إنه من أرمى العرب في زمانه، وأمه «أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر»، وهو «الأُسوار»، وله يقول الشاعر:

زعـم الـنـاس أن خـيـر قـريـش كـلـهـم حـيـن يـذكـر الأُسْـوارُ

و«عبد الله الأصغر»، و«عمر»، و«أبو بكر»، و«عتبة»، و«حرب»، و«عبد الرحمٰن»، و«الربيع»، و«محمد»؛ بالأمهات أولاد شتى(٢).

وذكر «ابن جرير الطبري» أن «يزيد بن معاوية» هلك سنة أربع وستين للهجرة، وكانت وفاته بقرية من قرى حمص، يقال لها: «حُوَّارين» من أرض الشام، لأربع عشرة ليلة من ربيع الأول، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة في قول بعضهم.

وقال: إن الزهري كتب لجده أسنان الخلفاء، فكان فيما كتب من ذلك: ومات «يزيد بن معاوية» وهو ابن تسع وثلاثين، وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر في قول بعضهم، ويقال: ثمانية أشهر.

وقال أبو جعفر: وحدثني أحمد بن ثابت، عمن حدثه، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، أنه قال: توفي «يزيد بن معاوية» يوم الثلاثاء لأربع عشرة

(١) أعلام النساء، ص: ٣٤٩.
(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٥٠٠).

ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وكانت خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر، إلَّا ثمان ليال، وصلَّى على «يزيد» ابنه «معاوية بن يزيد»[(١)].

وخلف بعد «يزيد» ولده «معاوية» وأمه «أم حبيب بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف» القرشية العبشمية.

وذكره «السيوطي» في «تاريخ الخلفاء»، فقال: «معاوية بن يزيد بن معاوية»؛ أبو عبد الرحمٰن، ويقال له: أبو يزيد، ويقال: أبو ليلى، استخلف بعهد من أبيه في ربيع الأول سنة أربع وستين، وكان شاباً صالحاً، ولما استخلف كان مريضاً، فاستمر مريضاً إلى أن مات، ولم يخرج إلى الباب، ولا فعل شيئاً من الأمور، ولا صلى بالناس. وكانت مدة خلافته أربعين يوماً، وقيل: شهرين، وقيل: ثلاثة أشهر، ومات وله إحدى وعشرون سنة، وقيل: عشرون سنة، ولما احْتُضِرَ قيل له: ألا تستخلِفُ؟ قال: ما أصبت من حلاوتها، فَلِمَ أتحمَّل مرارتها؟

وكان «ابن الزبير» محمد أبى البيعة ليزيد، وفر إلى مكة، ولم يدعُ إلى نفسه لكن لم يبايع، فوجد عليه «يزيد» وجداً شديداً، فلما مات «يزيد» بويع له بالخلافة، وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان، ولم يبق خارجاً عنه إلَّا الشام ومصر، فإنه بويع بهما «معاوية بن يزيد» فلم تطل مدته، فلما مات أطاع أهلهما «ابن الزبير» وبايعوه.

ثم خرج «مروان بن الحكم» فغلب على الشام ومصر، واستمر إلى أن مات سنة خمس وستين، وقد عهد إلى ابنه «عبد الملك».

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٩٩).